شواهد القراءات
في
المعاجم دلالاتها ومعانيها
معجم الأزهري أنموذجاً

الأستاذ الدكتور

خيرالدين محي الدين حماد سيب

جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز - السعودية.

الدكتور

واسني بن عبد الله

جامعة لمسيلة - الجزائر

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،،،

فقد تعدّدت الدّراسات القرآنية، والبحوث اللّغوية، التي جعلت من نصوص آيات القرآن مرجعاً لها وأزهارا تقطف منها ثمارها وميزاناً تقيس به علامات تقدمها وازدهارها وشاهدا على مكانتها، وتنّوعت تبعاً لذلك الأساليب العلمية والمناهج اللّغوية التي سخّرت نفسها لخدمة هذا القرآن الكريم، فجاءت هذه الدراسات في بطون الكتب إما تفسيرا لموضوعاته أو شرحا لألفاظه أو تهذيبا وتبيينا لشواهد أحرفه وقراءاته القرآنية أو إفصاحا عما أُعجم من مكنوناته ودُرَرِه، أو استعماله شاهدا على صدق ما جاء به العلماء من مسائل لغوية وبلاغية... إضافة لما تحويه من إثراء للمعاني القرآنية الكريمة، وللدلالات اللغوية، وهذا أمر لم يغفله العلماء المتقدمون وحاولوا الإفادة منه في شتّى الميادين وعلماء اللغة والمعاجم استشهدوا بها للاستدلال على صحة المادة اللغوية التي حوتها معاجمهم، أو للتقعيد والتأصيل للظواهر اللغوية والنحوية والصرفية التي رووها في مصنفاتهم.

ويتناول البحث "**شواهد القراءات القرآنية**" التي ذكرها "**الأزهري**" في معجمه متناولا دلالاتها ومعانيها، ومقارنا في الوقت نفسه بين المعنى اللغوي المذكور في المعجم، وبين المعنى التفسيري الذي ذكره المفسرون.

SEMANTIC AND MEANINGS OF THE ARGUMENTS OF QURANIC READINGS IN LEXICONS

A CASE STUDY OF EL-AZHARI LEXICON

PROFESSOR: Khireddine Mahieddine Houmad SIB

University of Amir Satam ben Abd El Aziz – Saudi Arabia

Dr. Wassini ben Abdelah.

University of Msila –Algeria-

ABSTRACT :

Many Quranic and language researches have studied Quran using different methods and approaches.

The focus of Quranic researches has been to either interpret the Quran meanings, define the Quran terms, clarify the evidences, reveal the morals or elicit Quranic arguments that support linguists' findings.

Modern researchers have exploited Quran to either use the Quranic verses as illustrations or extract lexical rules.

The present research aims at analyzing the semantic and meanings of the Quranic readings in AL-AZHARI lexicon, in addition to studying the meanings in AL-AZHARI lexicon compared to the meaning of exegetes.

أهداف البحث:

- الاطّلاع على طريقة الأزهري في التعامل مع الآيات القرآنية والقراءات.
- إظهار مواطن الشاهد القرآني في كتب التراث عامة، وفي المعاجم خاصة.
- دراسة شواهد القراءات القرآنية التي ذكرها الأزهري في معجمه.
- الوقوف على أثر بعض القراءات القرآنية في التفسير وفي اللغة والمعاجم.

خطة البحث:

- **المبحث الأول:** تعريف الشواهد.

  المطلب الأول: الشواهد في اللغة.

  المطلب الثاني: الشواهد في الاصطلاح.

- **المبحث الثاني:** أنواع الشواهد.
  - شاهد القرآن الكريم وقراءاته.
  - القرآن الكريم ومنزلة الاستشهاد به.
  - القراءات القرآنية والاستشهاد بها.
  - أهمية القراءات القرآنية الواردة في كتاب الأزهري.
- **المبحث الثالث:** منهج الأزهري في الاستشهاد بالآيات القرآنية والقراءات.
  - **المطلب الأول:** المنهج العام في عرض القراءات.
  - **المطلب الثاني:** إيراد معاني الشواهد وذكر دلالاتها. نماذج.
- **خاتمة.**

نص المقال

كان للعرب حفاوة بالغة بفن القول وطرق التعبير وأدائه، حتى يصل إلى قلب السامع أو القارئ ويؤثر فيه، ومن تلك الطرق استعمالهم الشواهدَ والمثال في كلامهم وحديثهم ومؤلفاتهم.

المبحث الأول
تعريف الشواهد

لأتمكّن من الوقوف على دور الشاهد في الاستعمالات المعجمية عموما رأيت من الواجب أعرفه لغة واصطلاحا:

المطلب الأول
الشواهد في اللغة

لعلّ من المهم في تعريف الشاهد لغة أن نذكر مشتقات الكلمة وأصلها، ودلالاتها اللغوية والمعجمية.

المسألة الأولى: مشتقات لفظة الشواهد

الشواهد جمع شاهد، وهو اسم فاعل من الفعل الثلاثي شَهدَ، نقول رجل شاهِدٌ، وكذلك الأُنثى، والجمع أَشْهاد وشُهود، وصيغة المبالغة منه شهيد على وزن *فعيل* والجمع شُهَداء، ومصدره الشهادة؛ يقال شَهدَ يَشْهَدُ شَهَادَة، واستشهد استشهادا على وزن استفعل، وشَهِدَ الرجلُ على كذا، على وزن عَلِمَ وكَرُمَ، وربما

قالوا: شَـهْدَ الرجلُ، بسكون الهاء مع فتح الشين، وكسرها أيضا مع سكون الهاء شِهْدَ، ووردت شِهِدَ بكسرتين(١).

وبعض القبائل من اليمن تكسِر صَدْر كلِّ فعلٍ يجيء على بناء عَمِل، فيقولون شِهِد وسِعِد، ويقرءون: ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾(٢) ﴿شِهِدنا﴾ بكسر الشين(٣).

المسألة الثانية: الأصل اللغوي للكلمة.

تدور مادة(ش.هـ.د) في لسان العرب حول الحضور والعلم والإعلام؛ يقول أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة: "الشين والهاء والدال أصلٌ يدلُّ على حضور وعلم وإعلام"(٤).

المسألة الثالثة: الدلالات المعجمية.

للفظة "الشاهد" في كلام العرب معان كثيرة على حسب موقعها من السياق، وعلي حسب استعمالاتها أذكر منها:

---

(١) ينظر: لسان العرب – ابن المنظور– ج: ٧– ص: ٢٢٢. و القاموس المحيط– محمد بن يعقوب الفيروز آبادي – لبنان – بيروت – مؤسسة الرسالة– د.ط– د.ت –ج: ١ ص: ٣٧٣. و تاج العروس من جواهر القاموس– محمد مرتضى الحسيني الزبيدي– لبنان – بيروت– دار صادر– ط:١– ١٣٠٦هـ١٨٨٥م –ج:٢– ص:٣٩١.

(٢) سورة يوسف– من الآية:٨١.

(٣) ينظر: العين– الخليل بن أحمد الفراهيدي– تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي– لبنان – بيروت – مؤسسة الإعلامي للمطبوعات – ط: ١– ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م – ج: ٧ – ص:٣١٧.

(٤) معجم مقاييس اللغة– أحمد بن فارس– تحقيق و ضبط: عبد السَّلام محمد هَارُون – لبنان– بيروت – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– ط: ١ – ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م – ج:٣ – ص: ٢٢١

١ – الإقرار والاعتراف:

شَهِدَ الشاهِدُ عند الحاكم أَي أقر بما يعلم و اعترف(١)، يشهد على ذلك قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾(٢).

أي مقرين على أنفسهم بالكفر؛ وذلك أَنهم يؤمنون بأَنبياء بشّروا بمحمد وحَثُّوا على إتباعه، ثم خالَفوهم فَكَذَّبُوه، فبينوا بذلك الكفر على أَنفسهم وإِن لم يقولوا نحن كفار(٣).

٢ – الشهادة بمعنى الحكم: كما قال الله في سورة يوسف:

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾(٤).

قال القرطبي (\ ) في تفسير هذه الآية: "لأنهما لما تعارضا في القول احتاج الملك إلى شاهد ليعلم الصادق من الكاذب فشهد شاهد من أهلها أي حكم حاكم من أهلها؛ لأنه حكم منه وليس بشهادة"(٥).

---

(١) تهذيب اللغة– – الأزهري– ج: ٦ – ص:٧٣. و ينظر: – لسان العرب – ابن المنظور – ج:٧ – ص:٢٢٤.

(٢) سورة– التوبة: ١٧.

(٣) ينظر: لسان العرب– ابن المنظور– ج: ٧– ص: ٢٢٣. وجامع البيان في تأويل القرآن– محمد بن جرير الطبري– تحقيق: أحمد محمد شاكر– لبنان – بيروت – مؤسسة الرسالة– ط:١– ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م– ج: ١٤ – ص:١٦٥. والجامع لأحكام القرآن– أبو عبد الله مجمد القرطبي– لبنان – بيروت –دار إحياء التراث العربي– ط:١– ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م ج: ٨ – ص: ٨٩.

(٤) سورة يوسف– من الآية:٢٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن– القرطبي– ج: ٩ – ص: ١٧٢.

٣- الحضور ضد الغياب:

شَـهِدَ الأَمَر والمِصْرَ شَـهادَةً، فهو شـاهدٌ أي حاضر، خـلاف الغائب والجمع شُهَداء وشُهَّدٌ وأَشْهادٌ وشُهودٌ(١)، ومنه قول الله تعالى:

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(٢).

معناه من شَهِدِ منكم المِصْرَ في الشهر؛ أَي كان حاضراً غير غائب في سفره يصوم لا محالة(٣).

ومنه قول الشاعر:

[illegible]

أَي إذا غِبْتِ عني فإني لا أُكلِّم عشيرتي ولا آنَسُ بهم كأَني غريب عنهم(٤).

٤- الشاهد بمعنى المراقب للحدث:

نقول شَـهِد لـه بكذا شَـهادةً، أي أدَّى مـا عنده من الشهادة، و بيّن مـا يعلمـه وأَظهره، وأعلَمَ لمن الحقُّ وعلى مَنْ هو(٥)؛ كما جاء في حديث النبي (ﷺ):

« **شـاهداك أو يمينـه** »(٦)؛ أي لك من يشهد لك ويبين أمرك ويظهر صدق ما

(١) لسان العرب- ابن منظور -ج:٧ - ص:٢٢٤.

(٢) سورة البقرة- من الآية: ١٨٥.

(٣) ينظـر: تفـسير القـرآن العظـيم- ابـن كثيـر- تحقيـق: حـسان الجبـالي- المملكـة العربيـة السعودية- الرياض- بيت الأفكار الدولية - ط:١-١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م - ص: ١٨٨.

(٤) لسان العرب- ابن المنظور- ج:٧ - ص:٢٢٤.

(٥) لسان العرب- ابن المنظور- ج:٧ - ص:٢٢٣.

(٦) صـحيح البخـاري- محمد بـن إسماعيل البخـاري- تحقيق: مـصطفى ديـب البغـا- لبنـان - بيـروت - دار ابـن كثيـر- ط:٣- ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م - ج: ٢ - ص: ٩٥٠ . صـحيح مسلم- مسلم بن الحجاج النيسابوري- لبنان - بيروت - دار الكتب العلمية- د.ط: د.ت- ج: ٢ - ص: ١٣١. وينظـر: فـتح البـاري - أحمـد أبـو الفـضل ابـن حجـر العـسقلاني- تحقيق: محب الدين الخطيب - لبنان - بيروت - دار المعرفة- د. ط- د ت- ج: ٥ - ص:٢٨١.

أتيت به مع خصمك(١).

ويشهد لذلك قول جميل بن معمر(٢):

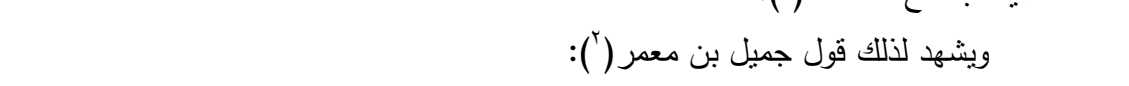

٥- **الشاهد الدليل والبرهان:** والجمع شواهد،ومنه قول محمود الورّاق(٣):

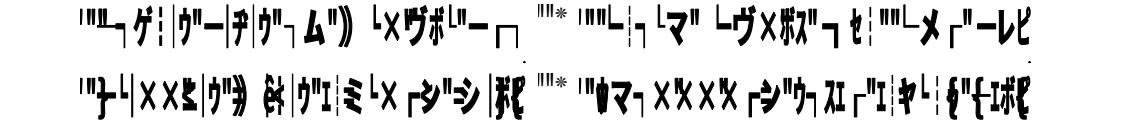

أي أن العيون تبين وتبرهن على حبها أو بغضها للآخرين بعلامات يعرفها الناظر إليها.

وقول المتنبي(٤):

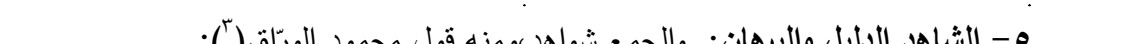

---

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي -لبنان – بيروت – دار إحياء التراث العربي – ط:٢- ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م – ج: ٢ – ص: ١٦٠.

(٢) الديوان- جميل بن عبد الله بن معمر – لبنان- بيروت- دار صادر – د.ط- د.ت- ص: ٨٤. وينظر: الأمالي في لغة العرب- أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي- لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية- ط:١- ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م-ج: ٢ – ص: ٨٤.

(٣) ينظر: العقد الفريد- ابن عبد ربه الأندلسي- تحقيق: مفيد محمد قميحة- لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية- ط:١- ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م- ج: ٢- ص: ٢٠٤.

(٤) يقول المتنبي تعينني على توارد الغمرات في الحروب سبوح، وهي الفرس كأنها تسبح في جريها، يشهد بكرمها خصال لها منها أدلة عليها. ينظر: شرح ديوان المتنبي- عبد الرحمن البرقوقي- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- ط:٢- ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م-ج:١- ص: ٣٩٣.

٦- **الشاهد بمعنى اللِّسان أو المَلَك:** وقد جمعهما الأعشى في بيت واحد، فقال(١):

فشاهده: اللسان: وشاهد الله جلَّ ثناؤه، هو الملَك(٢).

٨- **الشاهد العالم بالحق،** ومنه قوله تعالى:

نخلص إلى أن معاني الشاهد ارتكزت أساسا في الإخبار والإعلام، والحضور، والعلم والحكم، والاعتراف، والبرهان، أضف إلى ذلك بعض الاستعمالات التي وّظفها العربي في كلامه؛ كاللسان والماء الذي يخرج على رأس الصبي إذا ولد، وبعض الدلالات الإسلامية التي فسّر بها النبي (ﷺ) بعض ألفاظ القرآن الكريم كصلاة المغرب ويوم الجمعة ويوم عرفة وغيرها.

المطلب الثاني

الشواهد في الاصطلاح

تعدّدت التعاريف الاصطلاحية للشاهد وذلك على حسب العلم التي ينتمي إليه هذا المصطلح، وعلى حسب اختصاص كل فريق؛ فإن لأهل الحديث تعريفا يختلف عن تعريف اللغويين، أو البلاغيين، أو الفقهاء.

وقد أحصيت أربع تعريفات اصطلاحية للشاهد؛ تمثلت في علوم الحديث والفقه واللغة.

---

(١) ديوان الأعشى- الأعشى- ص: ١٣٣.و الشعر والشعراء- ابن قتيبة الدينوري ج:١- ص: ٢٦٦.

(٢) لسان العرب- ابن المنظور - ج:٣ - ص: ٢٣٨.

المسألة الأولى: الشواهد في إصطلاح المحدّثين.

يعّرف أهل الحديث الشاهد بأنه:" الحديث الذي يُروى عن صحابي مشابها لما روي عن صحابي آخر في اللفظ أو المعنى"([1])

فالشاهد عند المحدّثين هو ذلك الحديث الذي يشارك فيه رواته رواة الحديث الفرد([2]) لفظاً ومعنى، أو معنى فقط، مع الاختلاف في الصحابي؛ فإذا اختلف الصحابي في الحديث يسميه العلماء شاهدًا، وإذا كان الحديث مرويًّا عن أبي هريرة وابن عمر مثلا نستطيع أن نقول إن حديث ابن عمر شاهد لحديث أبي هريرة، والعكس كذلك([3]).

والغرض من البحث عن شواهد الحديث الشريف ومتابعاته هو معرفة حالته إن كان فردا أو معروفا أم لا، لتعضيد الحديث الأول، يقول الحافظ أبو عمرو عثمان بن الصلاح في مقدمته عند ذكره الشواهد والمتابعات: "هذه أمور يتداولونها في نظرهم في حال الحديث، هل تفرد به راويه أولا؟ وهل هو معروف أولا"([4]).

فالقضية هنا قضية تقوية للحديث، يعني نحن حينما نبحث هذا الموضوع أو نتكلم في هذه القضية نحن نريد أن نعرف كيف يمكن أن يتقوى الحديث الفرد الذي لم يرد إلا من طريقٍ واحد، لا يُتقوى إلا بالطرق الأخرى.

---

(١) الوجيز في علوم الحديث ونصوصه- محمد عجل – الجزائر – المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- د.ط – ١٩٨٩م- ص: ٣٤٠. وينظر: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث- أبو عمر عثمان بن الصلاح – ص:٢٦/٢٧، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث- الحافظ ابن كثير- ص: ٥٦.

(٢) الحديث الفرد هو الحديث الذي لم يرد إلا من طريقٍ واحد، فيقولون مثلا تفرد به أبو هريرة، ينظر: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث- أبو عمر عثمان بن الصلاح- ص: ٥٠.

(٣) الوجيز في علوم الحديث ونصوصه- محمد عجل- ص: ٣٤٠

(٤) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث- أبو عمر عثمان بن الصلاح – ص: ٥٠.

وقد يطلق الشاهد على مصطلح المتابع(١).

مثال الشاهد في اصطلاح المحدّثين:

روى الترمذي في سننه عن سالم بن عبد الله عن أبيه أنه سمع النبي (ﷺ) يقول: « مَنْ أَتَى الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ»(٢)

فلهذا الحديث شاهد من حديث أبي سعيد الخد ري (رضي الله عنه) في الصحيحين عن الرسول (ﷺ) أنه قال: « الْغُسْلُ يَوْمُ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِ مُحتَلِمٍ»(٣).

فالترمذي (\ ) روى الحديث الأول في موضوع غسل الجمعة عن الصحابي سالم بن عبد الله عن أبيه (رضي الله عنهما)، بينما البخاري ومسلم (رحمهما الله) رويا الحديث الثاني بالمعنى نفسه الموجود في الحديث الأول، ولكن عن صحابي آخر وهو أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه)؛ فنقول: الحديث الثاني شاهد للحديث الأول، أو هو متابع على حسب قول الحافظ بن حجر السابق.

الشاهد عند المحدثّين له علاقة وطيدة بالشاهد عند أهل اللغة، وذلك في الهدف والغاية؛ فالهدف من الحديث الشاهد هو تأكيد حديث آخر وتعضيده كيلا يبقى فيه لبس أو شك في وروده، وكذلك من أهداف الشاهد في اللغة تعضيد اللفظة أو الكلمة أو الصيغة وجعلها في مصاف الاستشهاد.

---

(١) المتابع هو الحديث الذي يُتابع فيه راوٍ تفرد بحديثٍ آخر، ينظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النووي–جلال الدين السيوطي– – ص: ٢٠٣/٢٠٢.

(٢) سنن الترمذي – الترمذي –ج: ٢ – ص: ٥٩٢.

(٣) صحيح البخاري– البخاري –ج: ١ ص: ٢٩٣. و مسلم – صحيح مسلم– ج: ٦ – ص: ١١٠.

المسألة الثانية: الشواهد في اصطلاح الفقهاء.

يعرّف أهل الفقه الشاهد بأنه الشخص المخبِر بحق على غيره، بشروط، عن مشاهدة وعيان لا عن تخمين وحسبان بلفظ أشهد أو شهدتُ([1]).

والشاهد في اصطلاحهم هو حامل الشهادة ومؤديها؛ لأنه شاهد لما غاب عن غيره([2]).

والشهادة عندهم هي إخبار الشخص عما يكون قد أدركه بإحدى حواسه، أوهي إخبار صدق لإثبات جف بلفظ الشهادة في مجلس القضاء([3]).

فالشاهد عند الفقهاء لا يخرج عن نطاق التعريف اللغوي له؛ وهو ذلك الشخص الذي يدلي بشهادته لإحقاق حق أو إظهار أمر، أو الإتيان به لحضور عقد من العقود كالنكاح والطلاق والعتق والوكالة والوصاية وغيرها، أو حدّ من الحدود كالسرقة والزنا والقذف وشرب الخمر...

والملاحظ في كتب الفقه التي اطلعت عليها أن بعضا منها لم يعرّف أصحابُها الشاهدَ وإنما ذُكرت الشروطُ التي من خلالها تُقبل شهادتُه كالإسلام والحرية و العدالة والحرية، وكذا صيغة هذه الشهادة وألفاظها([4]).

---

(١) معجم لغة الفقهاء- محمد دواس قَلْعَجي. وحامد صادق قَنيبجي- لبنان- بيروت- دار النفائس- ط:١- ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م- ص: ٢٥٦.

(٢) ينظر: فقه السنة – سيد سابق- ج: ١ ص: ٣٥.

(٣) أحكام تشريعات الحدود – محمد سامي النبراوي – مصر – القاهرة – دار غريب للطباعة- ط:١ – ١٩٧٦م – ص: ٨٧.

(٤) ينظر: بلوغ المرام من أدلة الأحكام – العسقلاني- ص: ٢٥٩. ومختصر العلامة خليل- خليل بن إسحاق المالكي- ص: ١٥٨. و أحكام تشريعات الحدود- محمد سامي النبراوي – ص: ٩٠/١٠٠.

المسألة الثالثة: الشواهد في اصطلاح اللغويين

وهو الأصل في دراستنا هاته، فالشاهد في اصطلاح علماء اللغة ما يستشهد به في إثبات قاعدة من القواعد النحوية أو الصرفية أو البلاغية، كما أن الشاهد في العبارة هو محط الغرض من ذكرها. وهي نوعان:

١- **الاستشهاد في اللغة:** ويكون بعرض قضية لغوية أو نحوية، وإثباتها بسوْق دليل من القرآن أو الحديث، أو الشعر.

٢- **الاستشهاد في الأدب:** ويكون بسوْق دليل نثري أو شعري لإقامة الدليل على قضية أدبية تعالجها، ولا يشترطون بها زمانا، كمن يستشهد بشعر الطيف من البحتري، أو الصنعة من أبي تمام، أو الفلسفة من المعري.

إلا أنّ الاستشهاد أوسع مدى من هذين النوعين، فيمكن أن يوظّف للاحتجاج لقضية فكرية، أو دينية، أو سياسية، أو تاريخية، وغير ذلك من الأفكار والمعاني. فعندما وضع النحاة الأوائل مجموعة من القواعد للغة العربية ارتكزوا على عدة دلائل، سميت هذه الدلائل بالشواهد وتضم هذه الشواهد القرآن الكريم والكلام العربي القديم قبل الإسلام وبعده على النحو الذي سنبين عندما ظهر اللحن في اللغة. فجميع القواعد المكتوبة هنا لديها شواهد تدل على صحتها.

وقد أورد أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين "فصلا سماه "الاستشهاد والاحتجاج" في سياق حديثه عن الشواهد الشعرية، فقال: "وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاط من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحتها"(١).

(١) الصناعتين-أبو هلال العسكري-تحقيق: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم- لبنان - بيروت- المكتبة العصرية - ط:١- ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م -ج:١ - ص: ٤١٦.

يذكر أبو هلال العسكري أن الاستشهاد بالشعر خاصة وبغيره عامة قد كثر في كلام العلماء القدامى والمحدثين، والغرض منه توليد المعنى، والشاهد عنده أن تأتي بمعنى من المعاني ثم تعقبه بمعنى آخر يؤكد الأول ويوضحه ويكون دليلا على صدقه وصحته.

ويعرف الجاحظ الشاهد بذكر أنواعه بقوله: "... ولم نذكر، بحمد اللّه تعالى، شيئاً من هذه الغرائب، وطريفة من هذه الطرائف إلا ومعها شاهد من كتاب مُنْزلٍ، أو حديثٍ مأثور، أو خبرٍ مستفيض، أو شعرٍ معروف، أو مثل مضروب"(١).

فالجاحظ هنا لم يعط حدّا للشاهد أو تعريفا له وإنما اكتفى بذكر أنواعه وهي القرآن الكريم، والحديث النبوي، وكلام العرب من شعر ومثل.

ويورد أبو هلال العسكري في كتابه جمهرة الأمثال بعضا من مقاصد الشواهد في المقدمة دون تعريفها بقوله:" ثم إني ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن كحاجته إلى الشاهد والمثل والشذرة والكلمة السائرة فإن ذلك يزيد المنطق تفخيما ويكسبه قبولا ويجعل له قدرا في النفوس وحلاوة في الصدور ويدعو القلوب إلى وعيه ويبعثها على حفظه ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكرة والاستظهار به أوان المجاولة في ميادين المجادلة والمصاولة في حلبات المقاولة وإنما هو في الكلام كالتفصيل في العقد والتنوير في الروض والتسهيم في البرد فينبغي أن يستكثر من أنواعه لأن الإقلال منها كاسمه إقلال،والتقصير في التماسه قصور"(٢).

(١) كتاب الحيوان- الجاحظ –ج:٦ – ص: ٥١٦.

(٢) جمهرة الأمثال- أبو هلال العسكري- لبنان – بيروت- دار الفكر – ط:١- ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م – ص: ٤.

والشواهد تعّرف على حسب أصلها ومنبعها؛ فإذا كان الشاهد قرآنا، نقول الشاهد القرآني وهكذا مع القراءات القرآنية والحديث النبوي والشعر والمثل.

فعلى هذا الأساس نستطيع تعريف الشواهد بأنها تلك الآيات القرآنية أو قراءاته أو الأحاديث النبوية أو كلام العرب الفصحاء، التي يستعملها العلماء في التأصيل لقاعدة ما أو لتأكيد معنى من المعاني. أو لتوضيح فكرة ما.

كما أن الشواهد تُعرّف كذلك على حسب الغرض من ذكرها في باب الاستدلال بها، أو على حسب القضية التي من أجلها سيقت هذه الشواهد؛ فنقول مثلا الشواهد **النحوية** أو **الصرفية** أو **البلاغية**؛ فالشواهد النحوية ما يؤتى به من قرآن وشعر ونثر للاستدلال به في قضية نحوية، كرفع الفاعل ونصب المفعول، وكالتقديم والتأخير، وغيرها من القضايا النحوية وكذا الشواهد الصرفية في المسائل الصرفية من اشتقاقات.

واقتصرنا في دراستنا عن شاهد القراءات القرآنية؛ وهو تلك الأوجه من قراءات القرآن الكريم الذي أتى بها أبو منصور الأزهري في معجمه ليؤكد بها ما ذهب إليه من استعمالات لغوية، أو ليدلل بها على صدق المادة المعجمية التي أتى بها أو ليبّين الدلالات الجديدة التي أتت بها هذه القراءات.

المبحث الثاني
أنواع الشـــــــواهد

قلت سابقا في تعريف الشواهد أنها تعّرف على حسب أصلها ومنبعها؛ وهذا الأصل يكون إما كلام الله تعالى، أو كلام نبيه (ﷺ)، أو كلام البشر شعرا نثرا قيل في عصر الاحتجاج.

وذكرت أن الجاحظ تحدث عن أنواع الشواهد في كتابه الحيوان عند حديثه عن الشاهد، وسأورد هذه الأنواع – بعون الله – مرتبة على **حسب قدسيتها** بدءا من القرآن الكريم وانتهاء بالمثل، وعلى حسب ما ذكر الجاحظ من ترتيب عند تطّرقه لمنهج كتابه السابق – الحيوان– يقول: "فإن مَلِلْتَ الكتابَ واستَثْقَلْتَ القراءة، فأنت حينئذ أعذَرُ، ولحظِّ نفسك أبْخَسُ، وما عندي لك من الحيلة إلا أن أصوّره – أي الكتاب – لك في أحسن صورة وأقلّبَك منه في الفنون المختلفة، فأجعلَكَ لا تخرجُ من الاحتجاج بالقرآن الحكيم إلا إلى الحديث المأثور ولا تخرجُ من الحديث إلا إلى الشِّعر الصحيح، ولا تخرجُ من الشّعر الصحيحِ الظريفِ إلا إلى المثلِ السائر الواقع"(١).

فالجاحظ في استشهاده على ما يذهب إليه، وفي ترويحه عن القارئ لكتابه ينطلق من القرآن الكريم ثم ينتقل إلى الحديث النبوي الشريف، ثم يعرج بعد ذلك إلى الشعر الصحيح الفصيح، ليصل في الأخير إلى المثل السائر.

وسنقتصر على شاهد القرآن وقراءاته المختلفة لكونها محل الدراسة.

(١) كتاب الحيوان– الجاحظ –ج: ٥ – ص: ١٥٦.

المطلب الأول
شاهد القرآن الكريم وقراءاته

لقد عَرَف القرآن الكريم وقراءاته القرآنية منزلة كبيرة بين أصناف العلماء والدارسين، وسنحاول – إن شاء الله – أن نفردها بالتعريف.

المسألة الأولى: القرآن الكريم.

أولا: تعريفه.

١ – لغة:

المشهور بين علماء اللغة أن لفظ القرآن في الأصل مصدر مشتق من قرأ، يقال قرأ قراءة وقرآناً(١)؛ فهو مصدر مرادف للقراءة ويشير إليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾(٢).

وقيل إنه مشتق من قرأ بمعنى تلا، وقيل إنه مشتق من قرأ بمعنى جمع ومنه قرى الماء في الحوض إذا جمعه، ثم نقل لفظ القرآن من المصدرية وجعل علماً، ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن الكريم، وعلى كل آية من آياته(٣)، فقد يطلق لفظ القرآن على جميعه وعى بعضه وقد تسمى الكتب القديمة قرآنا(٤).

---

(١) ينظر: لسان العرب – ابن منظور – مادة: قرأ– ج: ١ – ص: ١٢٨، و محمد الرازي – مختار الصحاح – ج:١ ص: ١٣٠.

(٢) سورة القيامة– الآيتان: ١٧– ١٨.

(٣) مباحث في علوم القرآن والحديث–.عبد المحمود مطلوب – ص:٧.

(٤) الإيمان الأوسط (شرح حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان)– أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – ص:٦٠.

٢- اصطلاحا:

للقرآن الكريم تعريفات كثيرة، وذلك بسبب تعدد الزوايا التي ينظر العلماء منها إلى القرآن الكريم. إلا أن التعريف الجامع و المانع له يكمن في قولهم: "القرآن الكريم كلام الله تعالى المعجز، المنزل على سيدنا محمد (ﷺ) بواسطة جبريل (عليه السلام) بلسان عربي مبين، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته"(١).

ثانيا: منزلة الاستشهاد بالقرآن الكريم.

لقد نال القرآن الكريم المنزلة العظمى في كل النواحي والمجالات، فكان بحق الكتاب الخالد و المعجزة الكبرى والحجة البالغة، ولا شك أن الشاهد القرآني يقوي المعنى والحجة، وهي سمة مشتركة مع الشواهد الأخرى، ولكنه يزيد عليها قوة الإيحاء والتأثير، لما له من مكانة إيمانية في قلوب المتلقين. ولأنه منزل من ربّ العالمين.

وأما الاستشهاد بآية من الآيات على واقعة جرت وحدثت، فهذا لا بأس به، فإن رسول الله (ﷺ) استشهد بالآيات على الوقائع، من ذلك استشهاده (عليه الصلاة والسلام) حينما جاء الحسن والحسين يتعثران في قميصين أحمرين وهو يخطب في الناس، فقطع كلامه ونزل فحملهما ثم عاد إلى منبره و قال (ﷺ) الآية:

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

كما أن هذا القرآن الكريم منارة تتلألأ يهتدي بها العلماء لإرساء القواعد اللغوية والبلاغية، وإبقائها في سلامة وصحة، وهو مصدر من مصادر التقعيد، وكان سببا في اجتهاد العلماء وتوافرهم على وضع علوم النحو والصرف وعلوم

(١) ينظر: شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع – ج:١- ص:١٤٣. والتبيان في علوم القرآن- محمد علي الصابوني- ص:٠٧/ ٠٨. والمقدمة- ابن خلدون- لبنان- ص: ٤١٩

(٢) سورة التغابن- الآية: ١٥.

البلاغة وغيرها، واستقصاء المفردات وتحرِّي مصادر الفصيح والدخيل. يقول عبد الرحمن السيوطي في كتابه، الإتقان، واصفا القرآن بأنه: "مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه (ﷻ) علم كل شيء، وأبان فيه كل هدى وغي، فترى كل ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد. فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج حكم الحلال والحرام، و النحوي يبني منه قواعد إعرابه، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام..."([1]).

فأفضل ما يحتج به في تقرير أصول اللغة القرآن الكريم فإنه نزل بلسان عربي مبين ولا يمتري أحد في أنه بالغ في الفصاحة وحسن البيان الذروة التي ليست بعدها مرتقى([2]).

وقد أجاد أحمد شوقي عندما وصف القرآن بقوله([3])

""ê◆XXXX◙¦÷"◆└ç""ﻍ ﻩ◆"I¦◆◄ ""* ""ﺷ◄◆XX◙¦&"◆ I└ I◆"{¬ ﻩ◆¦ﺽ"◆I+

""ê◄XXX◆¦ﺽ◆◆◆¦ﺽ"}¬¦◆""ﺏ¬÷┘∃◄ ""* ""◙◄XX◆"¬ ◄¦ﺽ"{ɪﻍ"I¦ﺽ"÷◙I└ך

المسألة الثانية: القراءات القرآنية.

لا شك أن القراءات القرآنية من أهم الموضوعات التي يتناولها الدارسون لتعلقها بكتاب الله تفسيراً وبيانًا، وتعد مصدرا مهما من مصادر اللغويين النحويين والبلاغيين وغيرهم، بوصفها شواهد على صحة القواعد التي يستنبطوها. ولذلك اهتموا بها ورووها وأوردوها في كتبهم ومصنفاتهم. وقبل أن نقف على بعض تلك الجوانب لابد أن نعرّفَها ونتعرَّف على أقسامها.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن– عبد الرحمن السيوطي – ص:٢١

(٢) القياس في اللغة العربية محمد لخضر حسين– ص:٣٦.

(٣) الديوان – أحمد شوقي – ج: ٢– ص: ٣٥.

أولا: تعريف القراءات.

١- لغة:

القراءات جمع مفرده قراءة، وأصل مادتها تعود إلى (ق ر ى) وهو أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك(١). قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾(٢).

والقراءة مأخوذة من قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا فهي مصدر من قولك قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض(٣)، وفي اللسان جاء معنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعا أي ألقيته(٤).

٢- اصطلاحا:

ذكر علماء القراءات تعريفات متعددة، بعضها قريب من المقصود والبعض الآخر متداخلة فيما بينها و أبرز هذه التعريفات نذكر:

(أ) تعريف ابن الجزري: حيث قال: "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"(٥).

(ب) تعريف القسطلاني: علم القراءات عنده: "علم يُعرَف به اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات والتحريك والإسكان والفصل والاتصال"(٦).

---

(١) معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس- ج: ٥ – ص: ٧٨/٧٩.

(٢) سورة القيامة- الآية: ١٧

(٣) تهذيب اللغة- الأزهري- ج: ٩- ص:٢٧١

(٤) لسان العرب – ابن منظور- ج:١- ص: ١٢٩

(٥) منجد المقرئين ومرشد الطالبين – ابن الجزري- ص:٣

(٦) لطائف الإشارات لفنون القراءات- شهاب الدين القسطلاني- ج:١- ص: ١٧٠.

(ج) تعريف عبد الفتاح القاضي: القراءات عند هذا العالم: "علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا مع عزو كل وجه لناقله"([1]).

(د) تعريف الزر قاني: وقد عرفها بقوله: "مذهب، يذهب إليه إمام من الأئمة مخالفاً به غيره، في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف، أو في نطق هيئاتها"([2]).

الملاحظ من التعريفين الأولين، تعريف ابن الجزري والقسطلاني، اشتراط النقل والسماع، لأن القراءة سنة([3])، كما قال كثير من العلماء، ويمكن أن نجمل هذه التعريفات بالقول أن القراءات: "هي مذاهب الناقلين لكتاب الله في كيفية أداء الكلمات القرآنية"([4]).

وقد جاء في كتاب "القراءات القرآنية- نشأتها- أقسامها- حجيتها" عشر تعريفات في حد القراءات القرآنية لعلماء ومفسرين وقراء وقدماء ومحدثين، واستخلص في الأخير أن هذه التعاريف لا تخرج عن ثلاثة عناصر هي([5]):

١. مواضع الاختلاف في القراءات.
٢. النقل الصحيح- العزو للناقل – سواء أكان متوترا أم أحادا.
٣. حقيقة الاختلاف بين القراءات.

---

(١) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة – عبد الفتاح القاضي- ص:٥.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن- محمد عبد العظيم الزر قاني- ج: ١- ص: ٣٣٦.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن- عبد الرحمن السيوطي- ص:٧٥. ولهجات العرب في القرآن الكريم – عبد الله عبد الناصر جبري- – ص: ٢٢٨.

(٤) لهجات العرب في القرآن الكريم – عبد الله عبد الناصر جبري- ص: ٢٢٩

(٥) ينظر: القراءات القرآنية- نشأتها- أقسامها- حجيتها-خير الدين سيب- – الجزائر- دار الخلدونية للنشر والتوزيع- ط:١- ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥ م- ص: ٢٠/١٥.

وهنا ينبغي الإشارة إلى أن هناك فرقا بين القرآن الكريم والقراءات القرآنية ذكره الزركشي في "البرهان في علوم القرآن" بقوله: القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان. فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد (ﷺ) للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف، أو كيفيتها؛ من تخفيف وتثقيل وغيرهما.(١) وعلم القراءات هو ذلك العلم الذي يعرَف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً، مع عزو كل وجه لناقله(٢).

فموضوع علم القراءات على هذا الأساس كلمات القرآن الكريم من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها.

وقيل إن بين القرآن الكريم والقراءات القرآنية عموم، وخصوص مطلق؛ فكل ما هو قرآن يمكن عدّه قراءة قرآنية، بينما ليس كل ما يندرج تحت القراءات القرآنية هو قرآن(٣).

ثانيا: أقسام القراءات.

تعدّدّت تقاسيم العلماء للقراءات من مثن لها ومثلث ومربع، ومنهم من زاد على ذلك؛ فنرى القاضي جلال الدين البلقيني يقسمها– فيما نقله عنه السيوطي – إلى ثلاثة أقسام متواتر، وآحاد، وشاذ، ويقسمها السيوطي إلى ستة أقسام: متواتر ومشهور، وآحاد، وشاذ وموضوع، ومدرج(٤).

(١) البرهان في علوم القرآن – الزركشي– ج:١– ص: ٣١٨.

(٢) القول السديد في مقدمات علم القراءات وفن التجويد– ص: ٢٩.

(٣) المصدر نفسه – ص: ٣١.

(٤) الإتقان في علوم القرآن – السيوطي – ص: ١٩٧،

والواضح من تقسيمات السيوطي تأثره بمصطلح الحديث، وهذا الأمر أُولع به وطبّقه في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" الذي حاكى فيه علوم الحديث في التقاسيم والأنواع.

ولعلّ التقسيم الذي عليه أكثر المتأخرين تقسيمها إلى قسمين اثنين مجمع عليهما باختلافٍ في التعبير عنهما بين العلماء؛ وهما القراءات الصحيحة والقراءات الشاذة:

(أ) القراءة الصحيحة:

قد تكفل ابن الجزري في كتابه "النشر في القراءات العشر" بتعريف القراءة الصحيحة بقوله:" كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبوله، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين. ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة، أو باطلة سواء كانت عن السبعة، أم عمّن هو أكبر منهم. هذا هو الصحيح عن أئمة السلف والخلف"([1]).

يفهم من تعريف ابن الجزري هذا أن للقراءة الصحيحة ثلاثة شروط تتمثل في ما يلي:

- ✓ موافقة اللغة العربية ولو بوجه.
- ✓ موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.
- ✓ صحة السند.

(١) النشر في القراءات العشر– ابن الجزري– لبنان– بيروت– دار الكتب العلمية– د.ط– د.ت –ج:١ – ص:٩.

وتطبيق معايير القراءة الصحيحة السابقة على القراءات القرآنية يدخل كثيرًا من القراءات غير السبعية في القراءات الصحيحة ويخرج عددًا من القراءات السبعية من الصحة إلى الشذوذ. يؤكد ذلك ما روي عن القراء السبعة من قراءات وُصفت بأنه شاذة، فقد ذكرت بعض الإحصائيات أن حمزة الزيات رويت عنه ثلاث روايات وصفت بالشذوذ، والكسائي رويت عنه سبع روايات، ونافع بن أبي نعيم رويت عنه تسع روايات، وعبد الله بن عامر رويت عنه اثنتا عشرة رواية، وعبد الله بن كثير رويت عنه ستة عشرة رواية، وعاصم بن أبى النجود رويت عنه خمس وعشرون رواية، وأبو عمرو بن العلاء رويت عنه ستون رواية. ولا شك أن هذا الشذوذ لم يتطرق إليها بسبب مخالفتها للرسم، أو انحرافها عن العربية، ولكن بسبب ضعف الرواية([1]).

(ب) القراءة الشاذة:

مفهوم الشاذ:

الشاذ مشتق من مادة (ش ذ ذ)، وهو مصدر من شذ يشذ شذوذًا، تقول شذ الرجل إذا انفرد عن القوم واعتزل جماعتهم([2]).

فالشذوذ يدل على الانفراد والندرة والتفرق والخروج على القاعدة والأصول؛ فكل شي ء منفرد فهو شاذ([3]).

والشاذ في الاصطلاح يختلف مفهومه حسب كل علم، فهو عند النحاة غيره عند علماء السنة، ويختلف عنهما لدى علماء القراءات.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن – السيوطي – ص: ١٩٤/١٩٧

(٢) لسان العرب– ابن منظور – ج: ٧ – ص: ٣٣٢.

(٣) الخصائص– أبو الفتح عثمان ابن جني– ج١: – ص: ٩٦. و تاج العروس من جواهر القاموس – محمد مرتضى الزبيدي– الكويت– ج: ٥ – ص: ٢٨–٢٩.

فالقراءات الشاذة هي التي تقابل القراءات المتواترة، وعُرفت بأنها" من فقدت ركنًا أو أكثر من أركان القراءة المقبولة"(١)، كما عرفت بأنها كل قراءة بقيت وراء مقياس ابن الجزري الذي قال:"... ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم(٢).

ولعلّ التعريف الذي تطمئن إليه النفس في تعريف القراءة الشاذة هو :القراءة التي صح سندها ووافقت اللغة العربية ولو بوجه وخالفت المصحف.

وهذا التعريف هو الذي اعتمده ابن تيمية في الفتاوى وابن الجزري في النشر(٣).

وبهذا يعلم أن القراءة الشاذة عند الجمهور هي ما لم يثبت بطريق التواتر، ولعل السبب في تسميتها بالقراءة الشاذة يعود إلى أنها شذت عن الطريق الذي نقل به القرآن حيث نقل بجميع حروفه نقلاً متواترًا.

ثالثا: الاستشهاد بالقراءات القرآنية.

قد حظيت القراءات القرآنية باهتمام المسلمين منذ نهضتهم الأولى على يد رسول الله (ﷺ) وصحابته الكرام إلى يومنا هذا، فقد تجرد عدد كبير من علماء المسلمين لخدمة هذا القرآن و قراءاته، وسطّروا كل ما جادت به عقولهم وأفكارهم في مؤلفاتهم حتى أصبحت مفخرة المسلمين ومضانّ الدارسين من بعدهم في الدرس والتأليف.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين عبد الرحمن السيوطي– ص: ١٩٨.

(٢) النشر في القراءات العشر – ابن الجزري – ج:١– ص:٩.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى الكبرى– ابن تيمية– ج: ١٣– ص: ٣٩٣/٣٩٤. النشر في القراءات العشر–ابن الجزري–ج: ١ص١٦–١٧.

والمتأمل في الدرس اللغوي العربي يجده قد تأثر تأثراً واضحاً بهذه المؤلفات، إذ لا يكاد يخلو كتابٌ في أصوات العربية وصرفها ونحوها ومادتها المعجمية واللغوية من جملة كبيرة من القراءات وما يتصل بها من مسائل مثّلت القواعد والضوابط التي أصلت للغة العربية من حيث مفرداتها وأساليبها.

وقد بذل العلماء جهداً فائقاً لخدمة القرآن بمختلف قراءاته المتواترة والشاذة، فوجَّهوها بالتعليل المستند إلى الأصول المعتمدة عندهم، واستشهدوا على ذلك بالشواهد الفصيحة التي جمعوها من البوادي عبر رحلاتهم العلمية المديدة، وقد استندوا إلى هذه القراءات في تأصيل قواعدهم، وإرساء معالم الصناعة النحوية والصرفية، وضبط مفردات اللغة(١).

يقول الخطيب البغدادي:" فكلامه- عز اسمه- أفصح كلام وأبلغه ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه"(٢).

ومن المعلوم -كما ذكرنا آنفا- أن للقراءات الصحيحة شروطاً ومعايير تجعلها مقبولة وقد اعتمدها النحاة واللغويون والبلاغيون وغيرهم،واستنبطوا منها الأصول التي بنَوْا عليها علومهم، وما خالف شروط القراءة الصحيحة عَدُّوه شاذاً، وقد وضع كثير من هؤلاء الغويين أو النحويين شرطًا واحدًا لصحة الاستشهاد بالقراءة، وهو صحة نقلها عن القارئ الثقة حتى لو كان فردًا، سواء رويت القراءة بطريق التواتر أو الآحاد، وسواء كانت سبعية أو عشرية أو شاذة. بل إن ابن جني في كتابه المحتسب كان حريصًا على وضع القراءة الشاذة على قدم المساواة مع

(١) مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري – محمد شعبان صلاح- مصر- القاهرة – دار غريب للطباعة والتوزيع والنشر- ط:١ ١٤٢٥هت/٢٠٠٥م- ص: ٩/١٠/١١.

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب -عبد القادر البغدادي – ج: ١- ص: ٩.

القراءة المتواترة، وذلك عندما عرّف كلا من القراءة الصحيحة والشاذة بقوله إن من القراءات: "ضرباً اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه ابن مجاهد كتابه الموسوم بقراءات السبعة، وهو بشهرته غان عن تحديده، وضرباً تعدَّى ذلك، فسمَّاه أهل زماننا شاذاً، أي: خارجاً عن قراءة القراء السبعة المقدَّم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالرواية من أمامه وورائه. ولعله أو كثيرًا منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه، نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعته، وتعنُف بغيره فصاحته(*) وترسو به قدم إعرابه..."(١).

وإذا كان بعض العلماء يحظر التعبد أو الصلاة بغير المتواتر لأنه ليس بقرآن(٢)، فهناك من العلماء من سمح بروايته، والاستشهاد به لأسباب أخرى. يقول القسطلاني في لطائف الإشارات:"إن من قرأ بالشواذ غير معتقد أنها قرآن، ولا يوهم أحدًا بذلك بل لما فيها من الأحكام الشرعية أو الأحكام الأدبية فلا كلام في جواز قراءتها"(٣).

(*) يريد أن فصاحته متفوقة.

(١) المحتسب – ابن جني– تحقيق: علي النجدي ناصف و. عبد الحليم النجار و د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي– مصر– القاهرة– مطابع الأهرام– ط:١– ١٤١٥هـ/١٩٩٤م– ج:١– ص: ٣٢.

(٢) ينظر: ابن تيمية– ج:٣– ص: ٢٠٥. والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد– أبو عمر يوسف ابن عبد البر– تحقيق محمد الفلاح – ط:١ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م– ج:٨ – ص: ٢٩٣. – مختصر العلامة خليل – وخليل بن إسحاق المالكي – ص: ٢٩. و الجامع مجموع الفتاوى – القرطبي– لأحكام القرآن–ج:١– ص: ٤٧–٤٨ . شرح النووي على صحيح مسلم وأبو زكريا يحيى بن شرف النووي – ج:٥ –ص: ١٣١.

(٣)لطائف الإشارات لفنون القراءات– شهاب الدين القسطلاني – ج:١– ص: ١٧٩.

فالقراءات المتواترة والشاذة حجّة عند أهل العربية، وإن كانت الأُولى أعلى قدراً، وبهذا تدخل القراءات القرآنية بجميع درجاتها ومستوياتها في الدرس الأدبي واللغوي والبلاغي، وتقف على قدم المساواة مع القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر الجاهلي والإسلامي، ومأثور النثر من حكم وأمثال وخطب في صحة الاستشهاد بها، والاستناد إليها في إثبات سلامة التعبير، وفي إمكانية اتخاذها مرتكزًا لتحقيق التيسير.

خامسا: أهمية القراءات القرآنية الواردة في كتاب الأزهري.

بعد تتبعنا للقراءات القرآنية الموجودة في متن معجم تهذيب اللغة للأزهري (\ ) ظهر لنا بجلاء ووضوح المكانة العلمية للكتاب من ناحية، والعصر الزاهر الذي عاش فيه المؤلف من ناحية أخرى، وكان هذا الزمن غنيا بكتب القراءات وتوجيهاتها وأصحابها، فلم تكن، القراءات في هذا الزمن، مضطربة وقليلة بالنحو الذي عُرِف وشاع فيما قبل، فلم يكن بعيدا عن زمن ابن مجاهد صاحب السبعة في القراءات في القرن الرابع الهجري، ومن علماء القراءات الذين سبقوه أو المعاصرين له الذين عاش معهم وأخذ عنهم أمثال: أبو عمرو بن العلاء،و أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، وقد ذكرهم الأزهري في مقدمة كتابه(١).

والذي يبدو من تصفح المعاجم اللفظيّة القديمة هو أنّ أصحابها لم يكن بينهم خلاف في الاحتجاج بالقرآن ولا بقراءاته المتعددة ومن هنا رأينا المعاجم اللفظيّة تحفل بهذين المصدرين، ويعدّ تهذيب اللغة من أبرز معاجم الألفاظ في هذا الجانب، فقد اعتنى بالشواهد القرآنية، والقراءات القرآنية عناية فائقة؛ ولا غرابة في ذلك فقد ربط الأزهريّ خاصّة وعلماء المعاجم واللغة عامّة بين فهم اللغة ومعرفة

(١) تهذيب اللغة ينظر: الأزهري – ج: ١ – ص: ١٨.